و خافونِ
إن كنتم مؤمنين

تأليف
سماحة السيّد حُسين الصدر
[دام ظله]

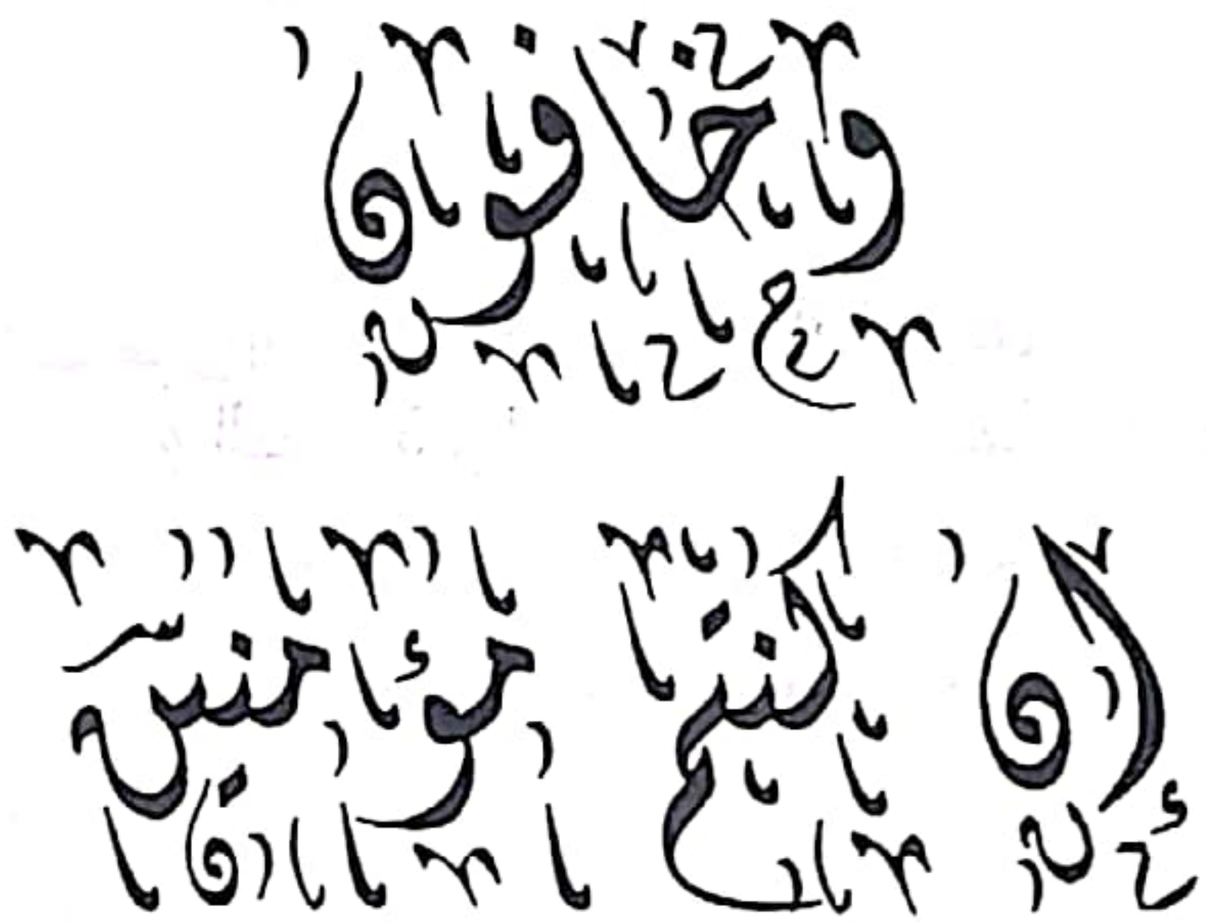

وخافون

إن كنتم مؤمنين

تأليف

سماحة السيد حُسين الصدر

-دام ظله-

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين
والصلاة والسلام على نبيّنا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

الخوف، خُلُقٌ من أخلاق القرآن الكريم نَبَّه عليه، وحثَّ عليه، ودعا لـه، وأمَرَ به، فقال عزَّ من قائل في سورة آل عمران/آية/١٧٥:-

﴿وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾

وقد جَعلَ شرط الإيمان وصحته الخوف منه، وقال تعالى في سورة ق/آية/٤٥:-

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيْدِ﴾

وقد جَعَلَ تأثير القرآن المجيد للإنسان الذي يخاف اللهﷻ ويحذر وعيده، وقال سبحانه عن عباد الله الأبرار الأخيار في سورة النور/آية/٣٧:-

﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيْهِمْ تَجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُوْنَ يَوْمَاً تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَالأَبْصَارُ﴾

وهذا النوع من الخوف القائم على المراقبة للهﷻ، هو الخوف المحمود الذي يدعو إليه القرآن الكريم، والذي يقابله ويكون ضدّه هو الأمن القائم على الاغترار أو الكفران أو الجهل، وقد نَفَرَ منه القرآن المجيد وحَذَّرَ، فقال عزَّ من قائل في سورة الأعراف/آية/(٩٧-٩٩):-

﴿أَفَأَمِنَ أَهَلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتَاً وَهُمْ نَائِمُوْنَ أَوْ أَمِنَ أَهَلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَىً وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ أَفَأَمِنُوْا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأَمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُوْنَ﴾

وقال تعالى في سورة الإسراء/آية/(٦٨-٦٩):-

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُوْا لَكُمْ وَكِيْلاً أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيْدَكُمْ فِيْهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيْحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُوْا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيْعاً﴾

والخوف في اللغة هو الفزع، وفي اصطلاح العلماء هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أنَّ الرجاء هو توقّع شيء محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، وقال بعضهم عن الخوف أنّه تألّم القلب واحتراقه بسبب توقّع مكروه في المستقبل، ويظهر أثر ذلك في الأعمال والأقوال والصورة.

وقال أحد علماء الأخلاق:-

الخوف: هو الخشية من تبعات عمل الإنسان، فقد قضى الله وقدّرَ أنَّ لأفعال الإنسان التي تُخالف القوانين التكوينية أو التشريعية الإلهية تبعات، إن في الدنيا، وإن في الآخرة، سواء أكانت هذه المخالفات ما يصطلح عليها بفعل المحرّمات أم بترك الواجبات، وينشأ هذا الخوف من تبعات المخالفة، من الإيمان بالمُشرّع وبشريعته، وبما وردَ فيها من بيان هذه العقوبات وبقدرته تعالى على تنفيذ عقوباته وبكونه يعلم بأفعال عبده، بل بما توسوس به نفسه، وبصدور المخالفة من المؤمن بهذه الأمور، يتولّد الخوف الدافع إلى الورع عن تكرارها والتوبة عمّا سلف منها، وقد يحصل الحذر من صدورها وإن لم تصدر، فيبقى مراقباً لنفسه بنفسه خشية مخالفتها بداعي هذا الخوف، وهذا الخوف بهذا المنشأ يجعل من الإنسان متّقياً من مخالفة ربّه ومن معصيته ومن عقابه المترتب عليها.

وقد وردت أقوال أخرى في تصوير معنى الخوف، فقيل: هو اضطراب القلب وحركته من تذكّر المخوف.

وقيل: هو هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

وقيل: هو قوة العلم بمجاري الأحكام.

ولقد تكررت الدعوة إلى الخوف من اللهﷻ في القرآن الكريم مع الحثِّ عليها، فجاء في قوله تعالى في سورة الأعراف/آية/٢٠٥:-

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِيْ نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيْفَةً﴾

وقال تعالى في سورة آل عمران/آية/١٧٥:-

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾

وأكّدَ كتاب الله المجيد توجيهه إلى الخوف من مقام اللهﷻ مع بيان نتيجته، فقال في سورة الرحمن/آية/٤٦:-

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

وقال تعالى في سورة النازعات/آية/(٤٠-٤١):-

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

وقال عزَّ من قائل في سورة إبراهيم/آية/١٤:-

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمْ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيْدِ﴾

والمقام في الأصل هو مصدر القيام، وهو أيضاً مكان القيام وزمانه، وأما معنى مقام اللهﷻ فيمكن أن يقال أنّه المقام الذي يقوم فيه العبد بين يدي ربّه لعبادته، كما يقال هذا معبد الله أو معبد الباري، أي المكان الذي يقوم فيه العبد بعبادة الله(تعالى).

ويمكن أن يقال: هو تحسّس العبد المستمر لمراقبة الله له، أي الموضع

الـذي يقـوم الله فيـه علـى عبـاده، والـذي هـو غيـر محـدود، لأنّـه نـور السماوات والأرض، ولا يخلو منه مكان، وعلى ذلك يدلُّ قوله تعالى في سورة الرعد/آية/٣٣:-

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾

أي حـافظ ومطّلـع عليهـا ومراقـب لهـا.. وقـد كـرّر القـرآن الكـريم ذكـر الخـوف مـن يـوم الحسـاب والجـزاء، الـذي هـو يـوم القيامـة، فقـال فـي سـورة هود/آية/١٠٣:-

﴿إِنَّ فِي ذَلِك لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوْعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُوْدٌ﴾

وقال في سورة الرعد/آية/٢١:-

﴿وَالَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْءَ الْحِسَابِ﴾

وقال سبحانه في سورة الأنعام/آية/١٥:-

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ﴾

وقال عز وجل في سورة الإنسان/آية/١٠:-

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمَاً عَبُوْسَاً قَمْطَرِيْرَاً﴾

الخوف ليس ذلاً وهواناً

وإنَّ الخوف الذي يدعو إليه القرآن الكريم ويُمجّد شأنه، إنّما هو الخوف القائم على المراقبة لله والخضوع لأمره، والخشية من عقابه، وليس معنى هذا أنَّ القرآن يرتضي لأهله الخوف بمعنى الذلّ والهوان، أو تَهيّب أحد من الناس، بل أنّه حين يدعو أهله إلى الخوف من الله يُحرّرهم بذلك من

الخوف لغيره، أو الذلّ لسواه، ويُحرّرهم من كلّ أنواع الخوف الأخرى، ولذلك يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة/آية/٣٨:-

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾

أي أنّهم لا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على فوات الثواب وأنّهم لا خوف عليهم من وسوسة الشيطان ولا مما يعقبها من الشقاء والخسران، فهم لا يخافون مما هو آت ولا يحزنون على ما فات، لأنَّ اتّباع الهدى يُسهّل عليهم طرق اكتساب الخبرات.

ويقول القرآن كذلك في سورة فصلت/آية/٣٠:-

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُوْا وَابْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ﴾

ويقول عز وجل في سورة طه/آية/١١٢:-

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمَاً وَلاَ هَضْمَاً﴾

ويقول تعالى في سورة يونس/آية/٦٢:-

﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ يَحْزَنُوْنَ﴾

الخـوف واجــب

والخوف من اللهﷻ، ومن حسابه وعقابه ومحارمه، فرض على كل مؤمن، لأنّه يقول سبحانه وتعالى في سورة آل عمران/آية/١٧٥:-

﴿فَلاَ تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾

فربطَ سبحانه الخوف منه بالإيمان به، أي أنّه من كان مؤمناً بالله لابد

أن يكون خائفاً منه، وهذا الخوف من اللهﷻ يستلزم عند صدقه، الرجوع إلى الله(سبحانه) دائماً، والاعتصام بحبله والتمسّك ببابه، ولذلك قال أحد العارفين: الخوف سوط الله يُقوِّم الشاردين عن بابه، وقال آخر: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما مرتبة القرب من الله(تعالى).

وهكذا ما دام القلب مستشعراً روح الخوف من الله(سبحانه) فإنّه يظل عامراً بالإيمان والورع والاستقامة واليقين، ولهذا قال أحد العرفاء: ما فارقَ قلباً إلاّ خرب.

الخوف عمل لا إحساس

نقول: ليس المقصود من خوف الإنسان العبد من الله(تعالى)، هو ما يخطر بباله من الرعب، كاستشعار قلبه الخوف من الأسد مثلاً أو من مفترس آخر، ليس هذا المقصود ولا المراد، بل المطلوب العمل بالكفِّ عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك صدقوا حين قالوا:-

((لا يُعدّ خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً))

كما أنَّ الخوف من اللهﷻ ليس شكلاً خارجياً يتمثل في صيحة معينة أو أنّه رنّة بأسلوب خاص، فليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل هو من يترك ما يخاف أن يُعاقب عليه، وقد قيل لأحد العلماء:-

((متى يكون العبد خائفاً؟.. فقال: إذا نزَّلَ نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام))

الخوف الحقيقي

فالخوف من اللهﷻ ليس هرباً منه، فإلى من يهرب العبد، ولا إعراضاً، فإلى أين يتجه؟.. بل هو قوة إحساس بعظمته وهيبته وجلاله وحقّه، وحبّه وجماله، وقوة عزيمة في الإقبال عليه، ليكون الإنسان العبد أهلاً لقبوله ومرضاته، ولهذا كلما كان الإنسان العبد صادقاً في خوفه من اللهﷻ زادَ لجوءاً إليه واعتصاماً بحبله وتمسّكاً ببابه، وذلك بعكس الخوف من غير الله، فإنَّ الإنسان إذا خافَ شيئاً آخراً غير الله بَعُدَ عنه وهرب منه.

الخوف الصادق أو الصدق فى الخوف

والصادق في خوفه من اللهﷻ يبذل غاية جهده في التحرّر من المعصية والابتعاد عن المحرمات وتجنّب الشبهات، والقيام بالطاعات والقربات، ومع ذلك يخاف ألاّ يبلغ بجهده وعمله مرتبة المقبولين الذين يقول الله(تعالى) فيهم في سورة البينة/آية/٨:-

﴿رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

وقد وردَ أنَّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) سُئِلَ عن قول الله(تعالى) في سورة المؤمنون/آية/٦٠:-

﴿وَالَّذِيْنَ يُؤْتُوْنَ مَا آتَوْا وَقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُوْنَ﴾

أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟..

قال صلى الله عليه وآله وسلم:-

﴿لا، ولكنّه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا

يُقبل منه﴾

وقد قال أحد المفسرين في شأن هؤلاء:-

عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُردَّ عليهم، إنَّ المؤمن جمعَ إحساناً وخشية والمنافق جمعَ إساءة وأمناً.

دواعي الخوف أو أسباب الخوف

الأسباب والدواعي التي تدعو الإنسان إلى استشعار الخوف من اللهﷻ كثيرة، فإنَّ هناك أموراً كثيرة مكروهة يخافها الناس، كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أو خوف عدم قبول التوبة، أو خوف بنقض التوبة بعد القيام بها، ونكث العهد بعد ربط النفس به، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله(تعالى)، أو خوف زوال رقّة القلب وتبدّلها بالقسوة، أو خوف الميل عن طريق الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتّباع الشهوات المألوف، أو خوف أن يَكِلَه الله(تعالى) إلى حسناته التي اتّكلَ عليها أو تفاخرَ بها بين عباد الله، أو خوف البطر بكثرة نِعَم الله(تعالى) عليه، أو خوف أن يَكِلَه إلى نفسه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاستدراج باتصال النِّعِم وتواترها، أو خوف انكشاف غوائل الطاعات وما فيها من سلبيات، حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده بسبب الغيبة والنميمة والخيانة والغش وإضمار السوء إلى غير ذلك من حقوق الناس.

أو خوف ما لا يدري أنّه يحدث في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عن اللهﷻ، أو خوف خاتمة

السوء عند الموت.

وإنَّ أغلب أنواع الخوف وأشدّها، هو خوف سوء الخاتمة والعاقبة، والمقصود من سوء الخاتمة هو، الكفر بعد الإيمان، والفسق بعد الاستقامة والصلاح، أو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت والاحتضار، الشكّ أو الجحود، فتقبض الروح في حال غلَبَة الجحود أو الشكّ، فيكون ذلك حجاباً بين الإنسان وربّه، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب الخالد.

وربما تكون سوء الخاتمة بأن يغلب على قلب الإنسان عند الموت، أمر من أمور الدنيا، أو شهوة من شهواتها، فيتمثّل ذلك في قلبه ويستحوذ عليه، فلا يبقى فيه متسع لغيره، ويتّفق قبض الروح في تلك الحالة، فيكون ذلك سبباً في صرف وجهه وقلبه إلى شهوات الدنيا، وإذا انصرفَ وجه الإنسان عن ربّه، وقعَ الحجابَ وإذا وقعَ الحجاب نزلَ العذاب، يقول تعالى في سورة المطففين/آية/(١٥-١٦):-

﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوْبُوْنَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوْا الْجَحِيْمِ﴾

ولهذا، فعلى المؤمن إذن أن يواصل استشعار الخوف من الله والوَجَل لذكره، والخشية من عقابه، وليتذكر دائماً قول ربّه عزَّ من قائل في سورة الأنفال/آية/٢:-

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكّلُوْنَ﴾

وكذلك يقول الحقُّ ﷻ في سورة الحج/آية/(٣٤-٣٥):-

﴿وَبَشّرِ الْمُخْبِتِيْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ

وَالصَّـابِرِيْنَ عَلَـى مَـا أَصَـابَهُمْ وَالْمُقِيْمِـي الصَّـلاَةِ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْن﴾

وليتذكر المؤمن المتحلّي بفضيلة الخوف من ربّه والمتصف بها، أنَّ سيّد الخَلْق من الأولّين والآخرين رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان أشدّ المؤمنين خوفاً من الله وهيبةً له وخشية من جلاله، وهو الطاهر من الدنس والمعصوم من كل ذنب وخطيئة، وهو القائل:-

﴿شيّبتني هود وأخواتها، سورة الواقعة، وسورة إذا الشمس كورت، وعمّ يتساءلون﴾

لأنَّ في سورة هود قوله تعالى في آية/١١٢:-

﴿فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

ولأنَّ في سورة الواقعة في قوله تعالى في آية/(٢-٣):-

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾

ولأنَّ في سورة التكوير، جاء فيها تصوير لأهوال يوم القيامة كما في قوله تعالى في آية/(١٢-١٤):-

﴿وَإِذَا الْجَحِيْمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾

ولأنَّ في سورة النبأ في آية/٣٨:-

﴿لاَ يَتَكَلَّمُوْنَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَاباً﴾

وقوله في سورة النبأ في آية/٤٠:-

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيْباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُوْلُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾

ولهذا مما لاشكّ فيه ولا ريب، أنَّ يقظة الخوف في نفس المؤمن تثمر

عنده، تجنّبه الشهوات وتبعده عن الآثام، ولعل هذا ما قصده علماء الأخلاق والعرفان بقولهم، أنَّ الخوف المحمود الصادق هو ما منعَ صاحبه حرام اللهﷻ، حيث قال أحدهم:-

((إذا سكنَ الخوف القلوب، أحرقَ مواضع الشهوات منها وطردَ الدنيا عنها))

وقال آخر:-

((الناس على الطريق -أي على الطريق المستقيم- ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زالَ عنهم الخوف ضلّوا الطريق))

الخوف والسعادة الأبدية

إنَّ الخوف الصادق الذي يكون في نفس المؤمن يجعله مالكاً مفتاح السعادة الأبدية التي ليس بعدها سعادة، وهي الفوز برضا اللهﷻ ونعيمه في دار الخلود والبقاء، وقد قال أحد العلماء في هذا الموضوع:-

((لا سعادة للعبد إلاّ في لقاء مولاه والقرب منه، فكلّ ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر غايته، وقد ظهرَ أنّه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلاّ بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلاّ بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلاّ بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلاّ بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلاّ بانقطاع حبّ الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلاّ بترك لَذّات الدنيا وشهواتها، ولا يمكن ترك المشتهيات إلاّ بقمع الشهوات، ولا تقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف))

ولكلمة الخوف جملة ألفاظ إن لم تكن مترادفة فهي متقاربة منها:

الوَجَـل والخشـية والرهبـة والهيبـة، إلاّ أنَّ الفـرق مـثلاً بـين الخـوف والخشية: أنَّ الخوف، هرب من حلول المكروه عند استشعاره –كما قلنا في تعريفـه– وهـو لعامـة المـؤمنين وصـاحبه يلتجـيء إلـى الهـرب والإمسـاك، والخشية أخصُّ من الخوف وهي للعلماء العارفين بالله المشار إليهم بقوله تعالى في سورة فاطر/آية/٢٨:–

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

وصاحب الخشية يلتجيء إلى الاعتصام بالله، وعلى قدر العلم تكون الخشية، ولذلك قال سيّد الكونين الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم):–

﴿إنّي لأعلمكم بالله وأشدّكم له خشية﴾

وقد فرّق علماء الأخلاق، بين الخوف والخشية، بأنَّ الخوف خشية سببها ذلّ الخاشي، وأنَّ الخشية خوف سببه عظمة الله فخافوه، لا لذلّ منهم بل لعظمة جانب الله، وأنَّ العبد إذا نظرَ إلى حضرة الله(تعالى) رآها في غاية العظمة فيشعر بالخشية، وإذا نظرَ إلى نفسه وجدها في غاية الضعف فيشعر بالخوف، وقد تحدثت عن الخشية بشكل مفصّل في كتاب (التقوى).

ويقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان: والظاهر أنَّ الفرق بين الخشية والخوف، أنَّ الخشية تأثّر القلب من إقبال الشرّ وما في حكمه، والخوف هو التأثر عملاً، بمعنى الإقدام على تهيئة ما يُتّقى به المحذور وإن لم يتأثر القلب ولذا قال سبحانه في صفة أنبيائه في سورة الأحزاب/آية/٣٩:–

﴿لاَ يَخْشَوْنَ أَحَدَاً إِلاَّ اللهَ﴾

فنفى عنهم الخشية غير غيره، وقد أثبت الخوف لهم عن غيره في مواضع من كلامه، كقوله في سورة طه/آية/٦٧:–

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيْفَةً مُوْسَى﴾

وقوله في سورة الأنفال/آية/٥٨:-

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾

ولعله إليه يرجع ما ذكره الراغب في الفرق بينهم: أنَّ الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم، ولذا خصَّ العلماء بها في قوله:-

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

وكذا قول بعضهم:-

إنَّ الخشية أشدّ الخوف لأنّها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي يابسة، وكذا قول بعضهم: أنَّ الخوف يتعلق بالمكروه وبمنزله يقال: خفتُ المرض وخفتُ زيداً، بخلاف الخشية فإنّها تتعلق بالمنزل دون المكروه نفسه، يقال: خشيتُ الله.

وأما الوَجَل: فهو رجفان القلب وانصداعه لذكر ما يخاف سلطانه وعقوبته.

والهيبة: خوف يُقارن التعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة، لأنَّ الإجلال تعظيم مقرون بالحبِّ، ولذلك قالوا:-

﴿الهيبة للمحبين والإجلال للمقربين﴾

وأما الرهبة: فهي إمعان في الهروب من المكروه، ولذلك قيل: إنَّ الرهب والهرب بينهما تناسب في اللفظ والمعنى، وتناسب اللفظ يأتي من ناحية الاشتقاق الأكبر، وكل لفظين شملهما هذا الاشتقاق يكون بينهما اشتراك في المعنى العام.

الوسطية فى الخوف

فالخوف صفة تحتاج إلى الوسطية أي التوسط والاعتدال، فليس من الصحيح ولا يليق أن يقلّ الخوف عند الإنسان حتى يقرب من درجة الغلظة أو الاستخفاف، ولا يجوز أن يسرف فيه صاحبه حتى يقرب من اليأس أو القنوط، لقوله تعالى في سورة الإسراء/آية/٥٧:-

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يَبْتَغُوْنَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوْرَاً﴾

ويقول عزَّ من قائل في سورة الأنبياء عن بعض أنبيائه في آية/٩٠:-

﴿إِنَّهُمْ كَانُوْا يُسَارِعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُوْنَنَا رَغَبَاً وَرَهَبَاً وَكَانُوْا لَنَا خَاشِعِيْنَ﴾

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الزمر/آية/٩ عن المستقيم من عباده:-

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ الَّيْلِ سَاجِدَاً وَقَائِمَاً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾

فالخائف ينبغي له ليستقيم على الصراط أن يوازن بين الخوف والرجاء، وهذا يؤدي بنا إلى بحث أمر يتعلق بموضوعنا، ويدور حول السؤال التالي:-

أيجعل الإنسان الخوف أكثر، أم يجعل الرجاء أكثر؟.. قال جمع من العلماء: أنّه ينبغي تغلّب الخوف على الرجاء ما دام الإنسان يغدو ويروح في الدنيا، فإذا خرجَ منها حسن به تغليب الرجاء على الخوف عند ذلك.

وقال آخرون: ينبغي أن يكون الغالب دائماً على القلب الخوف، ويرى البعض أنَّ أكمل الأحوال هو اعتدال الرجاء والخوف.

وقد قال أحد علماء الأخلاق في هذا المقام: أنَّ القلب في سيره إلى اللهﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سَلِمَ الرأس والجناحان، فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطِعَ الرأس مات الطائر، ومتى فقدَ الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

ويرى أحد علماء العرفان رأياً آخراً له أهميته ووجاهته، فهو يرى: أنَّ الخوف والرجاء دواءان يُداوى بهما القلب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله(تعالى) والاغترار به، فالخوف أفضل.. وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله، فالرجاء أفضل.. وكذلك إن كان الغالب على الإنسان المعصية، فالخوف أفضل، وأنَّ الأصلح لأكثر الناس هو الخوف، لغلبة المعاصي عليهم.

وهكذا نرى أنَّ الخوف من اللهﷻ، أدب من آداب الإسلام، وخُلُق من أخلاق القرآن، وفضيلة تُعلّم الإنسان الخضوع والخشوع والذل والعبودية لله، والعزّة على من سواه، وتُعوّده المراقبة لخالقه ومولاه، فهو يعتبر بقول الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فوالذي نفسي بيده، ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلاّ الجنة أو النار﴾

ويتعظ بما وردَ في الحديث القدسي عن اللهﷻ، وهو:-

﴿لا أجمعُ على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإن أمّنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمّنته يوم القيامة﴾

الخوف في الميزان

ففي تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي بحث جيد في موضوع الخوف، وذلك عند تفسيره قوله تعالى من سورة الرحمن /آية/٤٦:-

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

يقول: شروع في وصف حال السعداء من الخائفين مقام ربّهم، والمقام مصدر ميمي بمعنى: القيام مضاف إلى فاعله، والمراد قيامه تعالى عليه بعمله وهو إحاطته تعالى وعلمه بما عمله وحفظه له وجزاؤه عليه، قال تعالى في سورة الرعد/آية/٣٣:-

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾

ويمكن أن يكون المقام اسم مكان والإضافة لامية، والمراد به مقامه وموقفه تعالى من عبده، وهو أنّه تعالى، ربّه الذي يُدبّر أمره ومن تدبير أمره أنّه دعاه بلسان رسوله إلى الإيمان والعمل الصالح، وقضى أن يجازيه على ما عمل خيراً أو شرّاً، وهو محيط به وهو معه، سميع بما يقول، بصير بما يفعل، لطيف خبير.

والخوف من الله(تعالى) ربما كان خوفاً من عقابه تعالى على الكفر به ومعصيته، ولازمة أن يكون عبادة من يعبده خوفاً بهذا المعنى يراد بها التخلص من العقاب لا لوجه الله محضاً، وهو عبادة العبيد، يعبدون مواليهم خوفاً،

كما أنَّ عبادة من يعبده طمعاً في الثواب غايتها الفوز بما تشتهيه النفس دون وجهه الكريم، وهي عبادة التجار كما في الروايات.

والخوف المذكور في الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ظاهره غير هذا الخوف، فإنَّ هذا خوف من العقاب وهو غير الخوف من قيامه تعالى على عبده بما عمل، أو الخوف من مقامه تعالى من عبده، فهو تأثر خاص ممن ليس له إلاّ الصغار والحقارة تجاه ساحة العظمة والكبرياء، وظهور أثر المذلة والهوان والاندكاك قبال العِزّة والجبروت المطلقين.

وعبادته تعالى خوفاً منه بهذا المعنى من الخوف خضوع له تعالى، لأنّه الله ذو الجلال والإكرام، لا لخوف من عقابه ولا طمعاً في ثوابه، بل فيه إخلاص العمل لوجهه الكريم، وهذا المعنى من الخوف هو الذي وصفَ الله به المكرمين من ملائكته وهم معصومون، آمنون من عقاب المخالفة وتبعة المعصية، قال تعالى في سورة النحل/آية/ ٥٠:-

﴿يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

فتبيّن مما تقدّم أنَّ الذين أشارَ إليهم بقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أهل الإخلاص الخاضعون لجلاله تعالى العابدون له، لأنّه الله(عزّ اسمه) لا خوفاً من عقابه ولا طمعاً في ثوابه، ولا يبعد أن يكونوا هم الذين سُمّوا سابقين في قوله في سورة الواقعة/آية/(٧-١١):-

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً -إلى أن قال- وَالسَّابِقُوْنَ السَّابِقُوْنَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُوْنَ﴾

مؤلفات سماحة آية الله السيد حسين الصدر(دام ظله)

ت	عنوان الكتاب
	الكتب القرآنية
١	المنافقون في القرآن الكريم
٢	وخافون ان كنتم مؤمنون
٣	اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
٤	التفسير النافع/ سبع مجلدات
٥	التفسير المختصر/ مجلد واحد
٦	دروس في علم التجويد
٧	التربية القرانية في وصية لقمان
٨	التربية في القرآن والدعاء
٩	التفسير العلمي ١٤ جزء
	الكتب الاسلامية
١٠	ان تكون غايتك هو الله
١١	الحياة ما بين المعروف والمنكر
١٢	التواضع إنسانية وعبودية
١٣	الصبر تربية وعمل
١٤	الانفاق
١٥	في رحاب الصيام
١٦	مع الولد ووالديه
١٧	وبالوالدين احسانا
١٨	درس يوم السبت
١٩	درس يوم الاحد
٢٠	درس يوم الاثنين
٢١	درس يوم الثلاثاء
٢٢	درس يوم الاربعاء
٢٣	درس يوم الخميس
٢٤	درس يوم الجمعة
٢٥	ماهو الاسلام
٢٦	لااله الا الله
٢٧	محمد رسول الله في مكة

ت	عنوان الكتاب
٢٨	محمد رسول الله في المدينة
٢٩	محمد رسول الله الانسان الكامل
٣٠	في رحاب الحج
٣١	في رحاب سورة التوحيد
٣٢	واجب المجتمع العربي
٣٣	كيف نفهم العبادة؟
٣٤	التربية في الدين
٣٥	الضمير الديني ودوره في الحياة
٣٦	الى اخوة المسلمين ووحدتهم
٣٧	الاستعاذة بالله
٣٨	الى المراة
٣٩	الى اتقان العمل
٤٠	الى الاسرة
٤١	الى بناء الانسان
٤٢	التقوى
٤٣	بحث حول النية والعبادة
٤٤	الاسلام والترف
٤٥	من ابواب الخير
٤٦	كلمة في الامان واليقين
	كتب للشباب والشابات
٤٧	كيف نفهم الجمال؟
٤٨	كيف نتعامل مع مشكلاتنا؟
٤٩	كيف نفهم الزهد؟
٥٠	كيف نفهم الاجتهاد؟
٥١	كيف نكتشف وننمي مواهبنا؟
٥٢	كيف نفهم الحلال والحرام؟
٥٣	كيف نفهم التوبة؟
٥٤	كيف نفهم الصلاة؟
٥٥	التربية في العبادة

ت	عنوان الكتاب
٥٦	الى الشباب في العبادة
٥٧	الى الشباب توبة الى الله
٥٨	الى الشباب استغفروا الله
	كتب للفتيان والفتيات
٥٩	كيف نفهم الحرية؟
٦٠	كيف نفكر؟
٦١	كيف نثقف؟
٦٢	كيف نتعامل مع الاسرة والاخرين؟
٦٣	مرحلة المراهقة
٦٤	كيف نختار الاصدقاء ونتعامل معهم؟
	الكتب الاخلاقية
٦٥	الدين وتهذيب السلوك
٦٦	من خطايا اللسان
٦٧	اللسان بين الجنة والنار
٦٨	اخلاق الفرد في القرآن الكريم
٦٩	دروس اخلاقية
٧٠	من معالي الاخلاق
٧١	الاخلاق ودورها في الحياة
٧٢	مع الرسول الاعظم في خطبته
٧٣	مع الصبر والصابرين
٧٤	المسلم بين المحنة والابتلاء
٧٥	المسلم بين الخوف والرجاء
٧٦	المسلم بين السخط والرضا
٧٧	رسالة المسجد الينا
٧٨	يا ملي
٧٩	يا الهي خطاياي
٨٠	الندم والنادمون
٨١	ياغافر الذنب
٨٢	الاخلاق والسلوك

ت	عنوان الكتاب	ت	عنوان الكتاب	ت	عنوان الكتاب
٨٣	الى طريق الله	١٠٩	نافذة على الفلسفة الاسلامية		
٨٤	الى الاستقامة	١١٠	حكم السلام مع اسرائيل		
٨٥	الى جار المسجد	١١١	كتب الاطفال		
الكتب التربوية		**الكتب العلمية**			
٨٦	الصلاة عبادة وتربية	١١٢	يابني اقم الصلاة		
٨٧	ضرورة القدوة الحسنة	١١٣	حجابك يا ابنتي		
٨٨	صوتك كله لله	١١٤	طهارتك يا ابنتي		
٨٩	كيف نفهم الخشية؟	١١٥	وقتك يا بني		
الكتب العلمية		١١٦	اخلاقك يا بني		
٩٠	المنطق في سؤال وجواب	١١٧	الى صغاري الاحباء		
٩١	دروس في علم المنطق	١١٨	من قصص الانبياء- ادم(ع)		
٩٢	اصول الفقه/المرحلة الاولى	١١٩	من قصص الانبياء- نوح(ع)		
٩٣	اصول الفقه/المرحلة الثانية	١٢٠	من قصص الانبياء- هود(ع)		
٩٤	اصول الفقه/المرحلة الثالثة	١٢١	من قصص الانبياء- صالح(ع)		
٩٥	اصول الفقه في سؤال وجواب	١٢١	من قصص الانبياء- سليمان(ع)		
٩٦	الادلة والعقلية	١٢٣	من قصص الانبياء- داود(ع)		
٩٧	الاستصحاب	١٢٤	من قصص الانبياء- ابراهيم(ع)		
٩٨	مباحث الالفاظ	١٢٥	من قصص الانبياء- اسماعيل(ع)		
٩٩	نبوة محمد بين الاستقراء ونظرية الاحتمالات	١٢٦	من قصص الانبياء- يوسف(ع)		
١٠٠	وجود الله بين الاستقراء والاحتمالات	١٢٧	من قصص الانبياء- موسى(ع)		
كتب في العقيدة					
١٠١	الشفاعة في القرآن				
١٠٢	حكم تكفير المسلم في القرآن والسنة				
١٠٣	حكم الصلاة على محمد وال محمد				
١٠٤	التوسل في القرآن والسنة				
١٠٥	القسم في القرآن والسنة				
١٠٦	المولد النبوي في القرآن والسنة				
١٠٧	متفرقات من القرآن والسنة				
١٠٨	الطواف في القرآن والسنة				